

## مختصر ابن كثير

- 12 - ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتتكم الزكاة وآمنتم برسلني وعزرتتموه وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهرار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد مثل سواء السبيل .
- 13 - فيما نقضهم ميثاقيهم لعناهم وجعلنا قلوبهم فاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حطا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين .
- 14 - ومن الذين قالوا إننا نصارى أخذنا ميثاقيهم فنسوا حطا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينتبهم الله بما كانوا يصنعون .  
لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه الذي أخذه عليهم على لسان عبده رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل وذكرهم نعمه عليهم الطاهرة والباطنة فيما هدتهم له من الحق والهدى شرع يبين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ) فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعنا منه لهم وطردوا عن بابه وجناه وحجا با لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق وهو العلم النافع والعمل الصالح فقال تعالى : { ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا } يعني عرفاء على قبائلهم بالombaيعة والسمع والطاعة ولرسوله ولكتابه وقد ذكر ابن عباس أن هذا كان لما توجه موسى عليه السلام لقتال الجبارية فأمر بأن يقيم نقباء من كل سبط نقيب وهكذا لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار لليلة العقبة كان فيهم اثنى عشر نقيبا ثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة وأبو الهيثم بن التيهان هم وتسعة من الخزرج وهم : أبو أمامة أسد بن زراره وسعد بن الربيع عبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معروف وعبادة بن اصامت وسعد بن عبادة عبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن خنيس كانوا هؤلاء أن والمقصود . إسحاق ابن أورده كما له شعر في مالك بن كعب ذكرهم وقد هم عرفاء على قومهم ليلتئذ عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك وهم الذين ولوا المعايدة والombaيعة عن قومهم للنبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة .  
قال الإمام أحمد عن مسروق قال : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يملك هذه الأمة من

خليفة ؟ فقال عبد الله : ما سألني منها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال : نعم ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " اثنا عشر كعده نقباء بني إسرائيل " . وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يزال أمر الناس ماضيا ما ولهم اثنا عشر رجلا " ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفية علي فسألت أي ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : " كلهم من قريش " . ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثنى عشر خليفة صالحًا يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا توالיהם وتتابع أياهم بل قد وجد أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربع : أبو بكر وعمر وعثمان وعليهم و منهم ( عمر بن عبد العزيز ) بلا شك عند الأئمة وبعض بنى العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولاتهم لا محالة والظاهر أن منهم ( المهدى ) المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره فذكر أنه يواطئ اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم وأسم أبيه فيماً الأرض عدلاً وقسماً كما ملئت جوراً وظلمة وليس هذا بالمنتظر الذي تتوجه الرافضة وجوده ثم ظهوره من سردار ساماً فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الإثنى عشر الأئمة الإثنى عشر الذين يعتقدون لهم الروافض لجهلهم وقلة عقلهم . وفي التوراة البشارة بإسماعيل عليه السلام وأن الله يقيم من صلبه اثنى عشر عظيماً وهم هؤلاء الخلفاء الإثنى عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة . وبعض الجهلة من أسلم من اليهود إذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم أنهم الأئمة الإثنى عشر فيتشيع كثير منهم جهلاً وسفهاً لقلة علمهم وعلم من لقائهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : { وقال الله إنني معكم } أي بحفظي وكلائي ونصرني { لئن أقمتم الصلاة وآتيتكم الزكاة وآمنتم برسلني } أي صدقتموهن فيم يحيئونكم به من الوحي { وعزرتموهم } أي نصرتموهن ووازرتموهم على الحق { وأقرضتم الله قرضاً حسناً } وهو الإنفاق في سبيله وابتغاء مرضاً ته { لأكفرن عنكم سيناتكم } أي ذنوبكم أحواها وأسترهما ولا أؤاخذكم بها { ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهر } أي أدفع عنكم المحذور وأحصل لكم المقصود . قوله : { فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل } أي فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده فقد أخطأ الطريق الواضح وعدل عن الهدى إلى الضلال . ثم أخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده فقال : { فيما نقضهم ميثاقهم لعنهم } أي فبسبي نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعنهم أي أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى { وجعلنا قلوبهم قاسية } أي فلا يتعطون بموعضة لغطتها وقسماً وتها { يحرفون الكلم عن مواضعه } أي فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله وتأولوا كتابه على غير ما أنزله وحملوه على غير مراده وقالوا عليه ما لم يقل عيادة بما من ذلك { ونسوا حطا مما ذكروا به } أي وتركوا العمل

به رغبة عنه . وقال الحسن : تركوا عرى دينهم ووطائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها . وقال غيره : تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة فلا قلوب سليمة ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قوية { ولا تزال تطلع على خائنة منهم } يعني مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك . وقال مجاهد : يعني بذلك تماليؤهم على الفتوك برسول الله صلى الله عليه وسلم { فاعف عنهم واصفح } وهذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف " ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه " وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق ولعل الله أن يهدىهم وللهذا قال تعالى : { إن الله يحب المحسنين } يعني به الصفح عن أساء إليك . وقال قتادة : هذه الآية : { فاعف عنهم واصفح } منسوبة بقوله : { قاتلوا الذين لا يؤمنون به ولا باليوم الآخر } الآية . وقوله تعالى : { ومن الذين قالوا إننا نصاريأخذنا ميثاقهم } أي ومن الذين ادعوا أنهم نصاري متبعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليس كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته وموازنته واقتفاء آثاره وعلى الإيمان بكلنبي يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما فعل اليهود : خالفوا المواثيق ونقضوا العهود وللهذا قال تعالى : { فنسوا حطا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة } أي فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضا ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة . وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلجم معبدها : فالملكية تکفر العيقوبية وكذلك الآخرون وكذلك النسطورية والأريوسية كل طائفة تکفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ثم قال تعالى : { وسوف ينبعهم الله بما كانوا يصنعون } وهذا تهديد ووعيد أکيد للنصارى على ما ارتكبواه من الكذب على الله وعلى رسوله وما نسبوه إلى الله تعالى وقد عن قولهم علوا كبيرا من جعلهم له صاحبة ولدوا تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد